ابرز المظاهر العمرانية في الاندلس في عصر الخلافة
(٣٠٠ هـ - ٤٢٢ هـ)

أ.م.د. عمار لبيد ابراهيم
كلية الآداب / الجامعة العراقية

تمهيد

المراد بلفظ الاندلس اسبانيا الاسلامية بصفة عامة . اطلق هذا اللفظ في بادئ الامر على شبه جزيرة ايبيريا كلها ، على اعتبار انها كانت جميعها في يد المسلمين . ثم اخذ لفظ الاندلس يقل مدلوله الجغرافي شيئاً فشيئاً تبعاً للوضع السياسي الذي كانت عليه الدولة الاسلامية في شبه الجزيرة ، حتى صار لفظ الاندلس اخر الامر قاصراً على مملكة غرناطة الصغيرة ، وهي اخر مملكة اسلامية في اسبانيا وتقع في الركن الجنوبي الشرقي من شبه جزيرة ايبيريا . (١)

وتشمل حدود الاندلس ايام الخلافة الاندلسية ، كل البرتغال تقريباً واكثر اسبانيا الحالية وكانت الاندلس تمتد جنوب الخط الافتراضي الذي يصل بين نهر ((دويرة)) في الغرب حتى برشلونة في الشرق .مع ارتفاع الى الاعلى في الوسط . (٢)

وكلمة اندلس اشتقها العرب من كلمة واندلوس هي اسم قبائل الواندال الجرمانية التي اجتاحت اوربا في القرن الخامس الميلادي واستقرت في السهل الجنوبي الاسباني واعطته اسمها ، ثم جاء العرب وعربوا هذا الاسم الى اندلس وبعد سقوط مملكة غرناطة وانتهاء الحكم الاسلامي في اسبانيا (٨٩٧هـ / ١٤٩٢ م) اطلق الاسبان اسم اندا لوثيا على الولايات الجنوبية الاسبانية ، وهي المنطقة التي تشمل حتى اليوم ولايات قرطبة واشبيلية وغرناطة . (٣)

---

(١) – العبادي ، الدكتور احمد مختار ، في تاريخ المغرب والاندلس ، دارالنهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٨م ، ص ١٧ .

(٢) – العميد ، الدكتور طاهر مظفر ، اثارالمغرب والاندلس ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة بغداد ، بيت الحكمة ، ١٩٨٩م ، ص ١٤٥ .

(٣) –العبادي ، احمد مختار ، المرجع السابق ، ص١٧ .

فتحت الاندلس عام (٩٢- ٩٥هـ) على عهد الخليفة الاموي الويد بن عبد الملك(٨٦ -٩٦هـ) فاصبحت ولاية تابعة للخلافة الاموية في بلاد الشام ، ولما سقطت الخلافة الاموية بالمشرق عام (١٣٢هـ) حاول والي الاندلس يوسف الفهري (١٢٩- ١٣٨هـ) ان يكون اميراً مستقلاً لايتبع احد بعد سقوط خلافة الامويين ، الا ان وصول عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ، ابا سليمان الملقب بالداخل ، غيّر الامور وجعل الاندلس امارة اموية بدأ فيها عهد جديد يسمى عصرالامارة الاندلسية (١٣٨-٣١٦هـ) وهي امارة وراثية حكمتها الاسرة الاموية (اسرة عبد الرحمن الداخل) وتولاها الابن عن والده ، او الاخ عن اخيه ،او الحفيد عن جده كما هو معروف .[١]

ويلاحظ ان حكم المسلمين للاندلس دام اكثر من ثمانية قرون ، ولهذا تركوا فيها اثاراً مادية وروحية وخلقية واضحة المعالم ولاسيما في الولايات الجنوبية التي استقرفيها العرب حتى اخر ايامهم ، ومن أهم الاثار العربية الباقية في اسبانيا نذكرالمسجد الاموي بعقوده المزدوجة في قرطبة وهو من اعظم المساجد الاسلامية في العالم ، وقد تظافر على بناءه امراء وخلفاء بني امية في الاندلس ، وبجوارقرطبة نجد بقايا مدينة الزهراء التي بناها عبدالرحمن الناصر لتكون مقراً لخلافته الجديدة.[٢]

ويشيرالسامرائي [٣] واخرون الى عصرالخلافة الاندلسية (٣٠٠-٤٢٢هـ) بانه عصرالنضوج للعلوم والفكرالاندلسي ، ويقسم هذا العصر الى ثلاثة اقسام :-

---

(١) - السامرائي : الدكتور خليل ابراهيم ، الدكتور عبد الواحد ذنون طه ، الدكتور ناطق صالح مطلوب ، تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس ،وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة الموصل ، ١٩٨٦ م ، ص ٣٦١ .

(٢) - العبادي ، احمد مختار ، في تاريخ المغرب والاندلس ، ص ١٨ .

(٣) - تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس ، ص ٣٢٥

١-فترة الخلافة (٣٠٠- ٣٦٦هـ) وتولى الحكم فيها الخليفة الناصر (٣٠٠- ٣٥٠هـ) وابنه الحكم المستنصر ، (٣٥٠- ٣٦٦هـ)

٢-فترة الحجابة (٣٦٦ -٣٩٩هـ) وهي الفترة التي سيطرفيها الحاجب المنصور واولاده على الخلافة الاندلسية .

٣-فترة الفتنة (٣٩٩ – ٤٢٢هـ) والتي ادت الى قيام عصرالطوائف

فامتلكت الاندلس في عهد الخلافة كل المقومات المؤهلة لان تكون بحق وليدة عصرالخليفة الناصر ،وان تصبح العاصمة قرطبة صورة حقيقية لمظاهر ازدهار وبذخ ذلك العصر ، فقد كانت من اكبر واجمل عواصم العالم انذاك . (١)

وجاء سبب اختياري للبحث (ابرز المظاهرالعمرانية في الاندلس في عصرالخلافة) لأن روائع الحضارة العربية في الاندلس وبالاخص المنشآت العمرانية التي تم بناؤها في عصرالخلافة والتي لازالت تحكي قصة الاقتدارالعربي الاسلامي على التسابق في هذا الميدان ، يقودنا وباعجاب شديد الى دراستها والاهتمام بها الى حد التباهي وبكل شموخ بتلك الحضارة التي بناها العرب المسلمون . ويحدد الدكتور العبادي (٢) الخلفاء الذين تولوا الحكم في عصر الخلافة وهم كالتالي :

١- الخليفة عبد الرحمن الثالث ، الناصرلدين الله (٣٠٠- ٣٥٠هـ / ٩١٢ – ٩١٦م)

٢- الخليفة الحكم الثاني ، المستنصربالله (٣٥٠- ٣٦٦هـ / ٩٦١- ٩٧٦م)

---

(١) – ابن حوقل ، ابو القاسم النصيبي (ت ٣٦٧هـ) ، صورة الارض ، بيروت ، ١٩٧٩م ، ص ١٠٧ .

(٢) – العبادي ، الدكتور احمد مختار ، في تاريخ المغرب والاندلس ، دارالنهضة العربية للطباعة والنشر بيروت ، ١٩٧٨م ، ص ٧٦ –٧٧

٣- الخليفة هشام الثاني ، المؤيد بالله / والدولة العامرية الحاجب المنصور محمد بن عبد الله بن ابي عامر المعافري (٣٦٦ -٣٩٢هـ / ٩٧٦ -١٠٠٢م)

٤- ولى الحجابة بعد وفاة المنصورابنه عبد الملك الذي تلقب بالمظفر سيف الدولة ، واقره الخليفة هشام على ما كان عليه ابوه معه (٣٩٢ -٣٩٩هـ / ١٠٠٢ -١٠٠٩م) ثم تولى بعد ذلك اخوه عبد الرحمن الذي سمته العامة شنجول (٣٩٩-٤٢٢هـ / ١٠٠٩ - ١٠٣١م)

وقد قسمت البحث الى ثلاثة مباحث تناول المبحث الاول مدينة قرطبة والقصرالخليفي ومسجد قرطبة الجامع اما المبحث الثاني تناولت فيه مدينة الزهراء وقصرها والمسجد الذي بنى فيها اما المبحث الثالث فتناولت فيه مدينة الزاهرة وقصرها والمبحث الرابع تناولت فيه مدينة المرية .

وقد اعتمدت في اعداد هذا البحث على امهات الكتب كـ (نزهة المشتاق في اختراق الافاق) للادريسي (ت ٥٦٠هـ) و (البيان المغرب في اخبارالاندلس والمغرب) لأبن عذارى المراكشي (ت ٦٩٥هـ) ونفح الطيب في من غصن الاندلس الرطيب للمقري (ت ١٠١٤هـ) والعديد من المراجع الحديثة كـ (في تاريخ المغرب والاندلس) للدكتور احمد مختار العبادي واثارالمغرب والاندلس للدكتور طاهر مظفر العميد وتاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس للدكتور خليل ابراهيم السامرائي واخرون والعديد من المصادر والمراجع الاخرى .

ومن الله التوفيق

مدينة قرطبة

تقع مدينة قرطبة على الضفة اليمنى لنهرالوادي الكبير على سفح جبل العروس [١] اما اسمها فكلمة قرطبة واعتماداً على المعلومات التي ادلى بها ياقوت الحموي بشأن اصل مدينة قرطبة ان اصل كلمة قرطبة ترجع الى مصدرين اولهما الروماني وثانيهما عربي ، اما معنى الكلمة في اللغة العربية فيقصد بها العدو الشديد وورد في الشعرالعربي بيت جاء فيه ذكرالكلمة :

اذ رآني قد اتيت قرطبا وجال في جحاشه وطرطبا

وفي رواية اخرى ان التعبيرقرطبة بمعنى صرعه ، وتعني ايضاً ان القرطبا هو السيف كأنه من قرطبة اي قطعة . [٢]

اما بخصوص ارجاع اصلها الى اللغات القديمة ، فالكلمة اصلها أيبري قديم مأخوذ من كلمة كوردوبا Cordube او Cordova ، وهي كلمة قديمة تشير الى مدينة قديمة ازلية ، فقد ورد ذكرها اثناء الصراع بين اليونان وقرطاجة حيث اشترك اهالي قرطبة في حملة هانيبال على روما كما انها اصبحت تابعة للامبراطورية الرومانية بحدود سنة ٢٠٦ق.م [٣] . فاخذت تجتذب العوائل والاسرالرومانية لما يتوفر فيها من عناصر المناعة و الحصانة وقوة البناء وجمال الطبيعة والموقع الاستراتيجي الجغرافي ، ويبدو ان تطورها صار سريعاً اذ اتسع حجمها

---

(١) – الادريسي ، ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله (ت ٥٦٠هـ) ، نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، طبعة ليدن ، ١٨٦٦م ، ج٥ ، ص ٥٧٥ .

(٢) – شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري (ت ٧٣٣هـ) ، معجم البلدان ، طهران ، ١٩٦٥م ، ٤ اجزاء ، ج ٤ ، ص ٣٢٤ .

(٣) – الحميري ، ابو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي (ت ٨٦٦هـ) ، الروض المعطار في خبرالاقطار ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، بيروت ، ١٩٠٧م ، ص ٤٠٦-٤٥٧ .

ومساحتها فاصبحت تتألف من جانبين يفصلهما سور منيع وذلك من اجل عزل خطط ومنازل الاهال عن المنشئات الادارية الحكومية فاستقرالاهالي في الجانب الشرقي في حين صارالجانب الغربي مخصصاً لقصرالحاكم وجنده وقواده والمؤسسات الادارية الاخرى . (١)

وفي رواية اخرى ان اصل كلمة قرطبة قوطي والاصل فيها قرظبة بالضاد وتعني القلوب المختلفة .(٢) فيرجع تاريخ مدينة قرطبة الى فترات تاريخية قديمة جداً ، وعندما وصلها العرب الفاتحون بقيادة مغيث الرومي مولى الخليفة وليد بن عبد الملك في سنة ٩٢ هـ / ٧١٠م

وجدوها مدينة متكاملة يحيط بها سور متين حصين يحتوي على عدة ابواب ، ويحيط بالسورخندقاً يربطه بالسور قنطرة كبيرة مشهورة اما داخل المدينة فقد وجد العرب كنيسة وسكة كبيرة تعرف بالحجة العظمى وكان يقطنها كثير من الناس . على هذا الاساس فان العرب لم يكونوا المؤسسين الاوائل للمدينة . (٣)

فوصفها الادريسي (٤) عند دخول العرب لها انها تنقسم الى قسمين : شرقي وغربي يفصل بينها سور . وكان القسم الشرقي يقوم على جانب من الربض الشرقي الذي سمي في عصرالفتح والعهود التي تلته باسم (الشرقية) وكان يشغل ما يعرف بالمدينة العتيقة ، اما القسم الغربي

---

(١) – سالم ، الدكتور السيد عبد العزيز ، قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس ، القاهرة ، ١٩٥٨م ، ص١٧

(٢) – المقري ، احمد بن محمد المقري التلمساني (ت ١٠١٤هـ) ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دارالكتاب العربي ، بيروت ، ج١ ، ص ٤٥٨ .

(٣) – ناجي ، الدكتور عبد الجبار ، دراسات في المدن العربية الاسلامية ، مطبعة جامعة البصرة ، ١٩٨٦م ، ص٣٥٣

(٤) – نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، ج٥ ، ص ٥٧٥

فتشغله القصبة او المدينة الوسطى ، وتقوم فيه مباني الدولة وثكنات الجيش .

ولقرطبة القنطرة التي علت القناطر فخراً في بنائها واتقانها . وعدد قسيها سبع عشر قوساً بين القوس والقوس خمسون شبراً ، وسعة القوس مثل ذلك خمسون شبراً . وسعة ظهرها المعبور عليه ثلاثون شبراً .لها ستائر من كل جهة تسترالقامة . وارتفاع القنطرة من موضع المشي الى وجه الماء في ايام جفوف الماء ثلاثون ذراعاً . واذا كان السيل يصل الماء منها الى نحو حلوقها . وتحت القنطرة يعترض الوادي رصيف سد مصنوع من الاحجار القبطية والعمد الجافية من الرخام. على هذا السد ثلاثة بيوت أرصاء ، في كل بيت منها اربع مطاحن [١] ، ولهذه القنطرة اهمية سوقية حيث تصل جنوبي الاندلس بقرطبة والشمال الافريقي . [٢]

ومازالت هذه القنطرة تحتفظ بكثير من معالمها الاندلسية الاسلامية وبقي ربض المدينة العتيقة الشرقي لقرطبة ، الذي يتألف من مجموعة ارباض المركز العمراني في عهد الخلافة ، وتقوم المدينة الوسطى ، او القصبة العتيقة في القسم الغربي [٣] ، وكان يلتف حول القصبة القديمة سور من الحجارة . كما كان قصر مدينة قرطبة يتصل من جانبه الغربي بهذا السور من جهة الجنوب والغرب ، وكان الجامع على مقربة من

---

(١) – ابن عذاري ، ابو عبد الله محمد المراكشي ، (ت ٦٩٥هـ) ، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، اربعة اجزاء ، تحقيق كولان وليفي بروفنسال ، بريل ، ١٩٥١م ، ج٢ ، ص ٢٦ .

(٢) – عنان ، عبد الله ، دولة الاسلام في الاندلس ، القاهرة ، ١٩٦٩م ، ج١ ، ص ٧٥ .

(٣) – سالم ، الدكتور السيد عبد العزيز ، قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس ، ص ٤١ .

القصر والى الشرق منه يفصل بينهما ساباط يسير الناس تحته من المحجة العظمى التي بين الجامع والقصر الى باب القنطرة . (١)

وكان لسور قرطبة سبعة ابواب هي :- باب القنطرة وتقع في الجنوب .وبابان في الشرق هما باب الحديد وباب عبد الجبار ، وفي الشمال باب ليون ، وفي الغرب ثلاثة ابواب هي باب عامر وباب الجوز وباب اشبيلية . (٢)

وقد دخلها الاميرعبد الرحمن الداخل عام ١٣٨هـ / ٧٥٥ م وبنى فيها المسجد الجامع والقصر ، وتوسعت قرطبة العربية الى الشرق والغرب . كما امتد توسعها نحو الضفة الاخرى لنهر الوادي الكبير . وعمرت الضفة الجنوبية وكان لها ضاحية واسعة لاهل الحرف تسمى ((شقندة)) وتسمى اليوم ((الاسبير يتوسانتو)) وكانت القنطرة تصل قرطبة المدينة بهذه الضاحية الجنوبية . (٣)

واخذت قرطبة في التوسع مع مرور السنين ، حتى بلغت قمة ازدهارها في القرن الرابع الهجري / العاشرالميلادي فكان لقرطبة اهمية كبيرة في تاريخ العربي والمسلمين في الاندلس ، فانها بعد ثلاث سنوات من افتتاح العرب لها اتخذوها في عام ٥٩٧هـ / ٧١٥م دارللامارة ثم اتخذوها مركز للخلافة في عهد عبد الرحمن الناصر حيث اسهمت في ارساء حضارة العرب في اسبانيا واوربا وعلى امتداد القرون التالية وقد اصبحت في زمن الخليفتين عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصربالله مركزاً حضارياً من الناحيتين السياسية والاجتماعية فقد اجتذبت اليها العلماء والسفراء والادباء والتجار والصناع

---

(١) – الحميري ، الروض المعطار في خبرالاقطار ، ص ٤٥٨ .

(٢) – المقري ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، ج١٠ ، ص ٤٦٦

(٣) – سالم ، الدكتور السيد عبد العزيز ، قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس ، ص ٤١ .

من مختلف البلاد وزاد ازدهارها زمن الحاجب المنصور بن ابي عامر فاتصلت العمارة في مباني قرطبة والزهراء والزاهرة بحيث انه كان يمشي فيها بضوء السرج الممتد عشرة اميال [١].

ويذكر المقري [٢] ان عدد ارباض قرطبة بلغ واحد وعشرين في القسم الجنوبي منها ربضان والشمالي ثلاثة ارباض والغربي تسعة ارباض والشرقي سبعة ارباض)). يعود الفضل في تنظيم مدينة قرطبة وتجميلها ، وتنظيم شؤون الادارة والحكم فيها الى الاميرعبد الرحمن الداخل ، وانشأ في حاضرته قرطبة روائع المباني والعمائر ، وقامت فيها حركة معمارية لم تشهد لها نظير . من قبل . واتخذت قرطبة منذ ذلك مظهر المدن الكبيرة واصبحت جديرة بان تكون عاصمة للامارة الاموية . [٣]

ويذكرالمقري : ((انه لما تمهد ملكه شرع في تعظيم قرطبة ، فجدد مغانيها ، وشيد مبانيها . وحصنها بالسور وابتنى قصرالامارة والمسجد الجامع ووسع فناءه ثم ابتنى مدينة الرصافة متنزهاً له واتخذ بها قصراً حسناً وجناناً واسعة نقل اليها غرائب الغراس ، وكرائم الشجر من بلاد الشام وغيرها من الاقطار . [٤]

تمتاز المباني والمنشآت التي اقامها عبد الرحمن الداخل في قرطبة بالطراز المعماري الاموي حيث شرع في بناء القصور اسوة باجداده خلفاء الدولة الاموية ، فبنى المدينة المعروفة بـــ (الرصافة) الى الشمال الغربي من قرطبة للنزهة والسكنى ، وذلك في اول سني امارته وكان لقصر الرصافة سور يحيط به وينفتح فيه ابواب . وقد زار امراء

---

(١) – العميد ،الدكتور طاهر مظفر ، اثارالمغرب والاندلس ، ص ١٩٢

(٢) – نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب ، ج١ ، ص ٤٥٨

(٣) – العميد ، الدكتور طاهر مظفر ، اثارالمغرب والاندلس ، ص ١٩٣ .

(٤) – نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، ج٢ ، ص ٧٨

الاندلس بعد عبد الرحمن الداخل في عمارة الرصافة وتنافس الشعراء في وصفها وبقيت بعد ذهاب الخلافة منتدى الادباء وملتقى الشعراء ثم اصبحت عند سقوط مدينة قرطبة مقراً للاباء الفرنسسكان وقد تبقى منها اليوم بعض اثار جدران وقاعات وفي جوف هذه الاطلال باب يؤدي الى طريق في باطن الارض يقال انه كان يصل بين قرطبة والرصافة ، وان هذا الطريق يرتاده الاميرعبد الرحمن متى شاء لنفسه الراحة بعيداً عن انظار رعيته . (١)

وكان يفتح في سور قرطبة سبعة ابواب ، كان في عصر الامارة خمسة ابواب ثم اصبحت سبعة منذ عصر عبد الرحمن الناصر حيث عمل هذا الخليفة على تحصين ابواب مدينة قرطبة . فابتنى لها ابواباً داخلية توازيها سنة (٣٠١هـ) لتيسير الدفاع عنها . واتاحة الفرصة للحراس لمضاعفة الحراسة.(٢)

فأصبحت المدينة تتألف على حد قول الادريسي (٣) من : ((مدن خمسة يتلو بعضها بعضاً بين المدينة والمدينة سورحاجز . وفي كل مدينة من هذه المدن الخمسة تضم ارباضاً ولم يكن مسوراً من هذه المدن الخمسة اول الامر سوى المدينة الوسطى او القصبة وعندما تعرضت قرطبة لأخطار الحرب الاهلية صنع لها خندق يدور بجميعها وحائط مانع .وكان هذا الخندق يحيط بجميع ارباض قرطبة ومساكنها)).

(١) – سالم ، الدكتور السيد عبد العزيز ، قرطبة حاضرةالخلافة في الاندلس ، ج١ / ص ٤٨– ٤٩

(٢) – ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ١٠٨ .

(٣) – نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، ص٢٠٨.

قصر الخلافة

يقع القصر داخل المدينة وهو في الاصل بناء روماني قديم توارثه الملوك من العصر الروماني حتى الفتح العربي ، ثم اتخذه الولاة منذ ولاية ايوب بن حميد اللخمي قصراً لهم الى ان قامت الدولة الاموية . فوسع فيه امراء بني امية . وشيدوا فيه قاعات جديدة ومجالس وقصور . وتألقوا في تزيينها . وساقوا اليها المياه من جبال قرطبة . واجروها في ساحاته في برك واحواض من رخام ، واطلقوها من تماثيل معدنية تمج الماء من افواهها . (١)

وعندما افتتح مغيث الرومي قرطبة احتل هذا القصر حتى عوضه موسى بن نصير عنه قصراً اخر غربي قرطبة خارج اسوارها على اعتبار ان هذا القصر القديم يصلح لمن يتولى امارة قرطبة ، وبقي هذا القصر مركزاً للولاة ثم استقر فيه عبد الرحمن الداخل وابتنى قصر الامارة حيث اعاد ما تهدم فيه واضاف اليه اضافات جديدة حتى يكون جديراً بقصر الامارة . (٢)

وكان للقصر عدة ابواب منها في الجانب القبلي : باب السطح المشرف (باب السدة) وقد فتحه الامير عبد الرحمن الاوسط في قرطبة ، ويعتبر احد الابواب الرئيسية بالقصر . وهناك باب اخر في هذا الجانب يقال له باب العدل فتحه الامير عبد الله . واقام الناصر امامه فوارة في سنة (٣٠٧هـ) (٣) وقد تهدم في سنة ١٨٢٢م .

---

(١) – العميد ، الدكتور طاهر مظفر ، اثار المغرب والاندلس ، ص ٢٠٣

(٢) – المقري ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، ج٢ ، ص ٨٤

(٣) – ابن عذارى ، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، ج٢ ، ص ٢٦١

اما الباب الثالث فيقال له باب الحديد امر المنصور بن ابي عامر بسده بالحجر في سنة ٣٦٦هـ [١] .

اما الجانب الشمالي وفيه بابان هما ١- باب قورية ٢- باب الصناعة وسمي كذلك لقربه من دار الصناعة . اما الجانب الشرقي فيه باب الجامع وهو الباب الذي كان يدخل منه الامراء على الساباط الى المسجد ، اما الجهة الغربية من القصر فلم تكن فيها ابواب وانما كانت كلها بساتين وجنات [٢] .

ظل قصر قرطبة قائماً حتى سنة (١٢٣٦م) وهي السنة التي سقطت فيها قرطبة بايدي القشتاليين ، فكان قصرقرطبة من نصيب اسقفها ، وعرف منذ ذلك الحين بالقصر الاسقفي ، واصيب هذا القصرباضرار جسيمة على مرالعصور ، فقد احرق عدة مرات ، ولم يبق منه في الوقت الحاضر سوى الجدار المقابل لجدار الجامع وقسم من جداره الشمالي ، اذ مازالا يحتفظان بنظام البناء في جامع قرطبة نفسه بما في ذلك الركائز التي تدعم الجدران وتدفع عنها الضغوط . [٣]

المسجد الجامع بقرطبة

لم يخلد اثر من الاثارالاسلامية في كتب التاريخ كما خلد المسجد الجامع بقرطبة يقوم جامع قرطبة العظيم فوق منطقة صخرية ، في جنوب غرب قرطبة ، وعلى مقربة من القنطرة العربية المقامة على نهرالوادي الكبير ، وتحيط به الدروب الضيقة من جهاته الاربعة ،

(١) – المصدرنفسه ، ج ٢ ، ص ٢٩١

(٢) –سالم ، الدكتور السيد عبد العزيز ، قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس ، ج١ ، ص ١٩٣ –١٩٤

(٣) – العميد ، الدكتور طاهر مظفر ، اثارالمغرب والاندلس ص ٢٠٥ .

وصاراثراً من اجمل وابدع الاثارالاسلامية الباقية هناك ، رغم انه حوّل الى كنيسة (كاتدرائية) . (١)

لقد بدأ العمل في انشائه سنة (١٧٠هـ / ٧٨٦م) على يد عبد الرحمن الداخل ، وعمد الى جعله اعظم مساجد الاندلس وافخمها ، ويمكن تحديد المراحل التي مر بها المسجد الجامع بست مراحل:

الاولى : المسجد في زمن عبد الرحمن الداخل

الثانية : في عهد الاميرهشام

والثالثة : في عهد الامير عبد الرحمن الاوسط

والرابعة : في عهد عبد الرحمن الناصر .

والخامسة : في عهد الخليفة الحكم المستنصر

والسادسة : في عهد الحاجب المنصور بن ابي عامر ، وفي هذا العهد الاخير اخذ المسجد الجامع بقرطبة صورته النهائية . (٢)

ولكن عبد الرحمن توفي قبل اتمامه ، فأتمه ولده هشام ، وانشأ به منارته الاولى وزاد فيه عبد الرحمن بن الحكم بهوين جديدين من ناحية القبلة وانشأ فيه محمد بن عبد الرحمن مقصورة فخمة ، وفي عهد ولده عبد الله انشئ فيه ممر مسقوف يوصله بالقصر ، وجدد عبد الرحمن الناصر واجهته ، وهدم المنارة القديمة وانشأ مكانها اخرى ، ارفع واضخم ذلك سنة (٣٤٠هـ / ٩٥١م) وهي تحتوي على سلمين احدهما للصعود والاخر للنزول ، وفي اعلاها ثلاث تفاحات ، اثنان من الذهب والثالثة من الفضة ، وكانت مربعة الواجهات ، ولها اربعة عشر شباكاً ذا عقود ، ثم زاد الحكم المستنصر بن عبد الرحمن الناصر في الجامع

---

(١) – المعاضيدي ، الدكتورخاشع ، تاريخ الدولة العربية في الاندلس ، مطبعة التعليم العالي ، بغداد ، ١٩٨٨م ، ص ٢٣٥ .

(٢) – سالم ، الدكتور السيد عبد العزيز ، المساجد والقصور ، سلسلة اقرا ، دارالمعارف بمصر ١٩٢٨م ، ص ١٦

زيادة كبيرة ، فابتنى المحراب الثالث وعملت له قبة فاخرة كما انشأ الحكم فيه مقصورة جديدة ، لها قبة على الطراز البيزنطي وابتنى الى جانبه داراً للصدقة واخرى للوعاظ وعمال المسجد ، ثم زاد المنصور بن ابي عامرالحاجب فيه زيادة كبيرة من ناحيته الشرقية ضاعفت من حجمه تقريباً ، فبلغ طوله (٢٨٠) متراً وعرضه (١٣٥) متراً . (١)

وسنأتي على ذكرالمراحل التي مربها المسجد الجامع بقرطبة في عصرالخلافة بالتفصيل :-

كانت الصومعة القديمة التي بناها هشام قد تصدعت ، فأمر سنة ٣٤٠هـ / ٩٥٠م ببناء صومعة عظيمة تتفق وجلال الخلافة ، وشرع الخليفة في بنائها بعد ان هدم السورالشمالي للمسجد في نفس الوقت الذي هدم فيه صومعة هشام ، ومد السقيفتين الجانبيتين شرقي وغربي الصحن واوصل طرفيهما الشماليين بسقيفة شمالية ، بحيث احدث ما يشبه فناء الكنائس تحيط به البوائك من جهاته الاربع ، واتم بناء الصومعة الجديدة في ثلاثة عشر شهراً ، وكانت الصومعة الاولى ذات مطلع واحد فصيرالناصر لصومعته مطلعين ، وفصل بينهما بالبناء فلا يلتقى الراقون فيها الا بأعلاها . وكان لكل مطلع منها مائة وسبع ادراج ، ونصب في اعلى الصومعة سفوداً ركبت فيه ثلاث تفافيح تغشى النواظر بشعاعها وتتخطف الابصار ببريقها : السفلى والعليا مفروغتان من الذهب والوسطى من الفضة ، وفوق كل تفاحة منها سوسانة مسدسة من الذهب المحض ، وكان ارتفاع كل تفاحة ثلاثة اذرع ونصف ، وكان طول كل جانب من قاعدتها المربعة ٨.٤٨ م

(١) – عنان ، محمد عبد الله ، الاثارالاندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال ، مصر ، ١٩٥٦م ، ص ١٨– ٢٠

وكان نظام بنائها على اساس كتلتين من الحجارة موضوعتين بعرضهما بين كتلة طويلة طولها ١.٥٠ × ٠.٧٠ م . (١)

ويشير ابن الخطيب ان الناصر : ((زاد في المسجد الاعظم الزيادة الهائلة وبنى المنار الاعظم بقرطبة)) (٢)

وقد استطاع مهندس جامع قرطبة دون فيليث هرنانديث ان يكشف عن جدران الصومعة الاسلامية كما كانت في العهد الاسلامي ، وهو التصميم الفريد الذي نشهد فيه نظام الدرج المزدوج ، ولم يتبق من المئذنة سوى جزء ارتفاعه ٢٢ متراً بينما حفظ من الدعيمتين المركزيتين مايبلغ ٢٦ متراً .وكانت اسقف الادراج تتألف من قبوات صغيرة مربعة متعارضة متصلة فيما بينها ولكنها تتدرج في الارتفاع كلما ارتفعنا ، وكان يفصل بين كل مجموعة والاخرى عقود متجاوزة بارزة ، وكانت القبوات مجصصة مدهونة باللونين الابيض والاحمر تزينها زخارف هندسية . وكان الجدار المطل على بيت الصلاة يزدان بثلاثة صفوف من النوافذ المزدوجة في حين كانت تزدان الجدران الاخرى بصفين من نوافذ ثلاثية الفتحات تحيطها عقود متجاورة . وكان يعلو جدران الصومعة افريز من عقود صماء قائمة على عمد صغيرة ويكلل الصومعة شرفات مسننة . (٣)

---

(١) – ابن عذارى ، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، ج٢ ، ص ٣٣٧ .

(٢) – لسان الدين ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن احمد السلماني (ت ٧٧٦هـ) ، اعمال الاعلام ، تحقيق وتعليق الدكتور احمد مختار العبادي والاستاذ ابراهيم الكتاني ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ١٩٦٤م ، ص ٣٨

(٣) – المقري ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، ج٢ ، ص ٨٩ .

ان الاثر الذي تركه فن العمارة الاسلامية من خلال الصومعة والتحديث الذي احيطت به من قبل عبد الرحمن الناصر انعكس في اتخاذ مئذنة الناصر انموذجاً للمآذن الاندلسية المغربية . (١)

ويتسع الوصف للصومعة والمئذنة مترجماً اعجاب الكثير قديماً وحديثاً فيقول الادريسي (٢) في معرض وصفه ((وبالاوجه الاربعة الدائرة للصومعة صفات من قبس دائرة على عمد من الرخام الحسن ، وقد احصى الادريسي اعمدة المئذنة فقال : ان عددها من الداخل والخارج بلغ ثلاثمائة عمود بين صغير وكبير)).

ولم تقتصر اعمال عبد الرحمن الناصر على اعادة بناء الصومعة والمئذنة بل تجاوزهما الى اعمال الاصلاح والترميم ، ومن هذه الاعمال قيامه بترميم جدار واجهة بيت الصلاة الذي تصدع بسبب الدفع المستمر الذي تقوم به العقود فقام بترميمه ، وبنى واجهة اخرى ملتصقة بالجدار القديم ، واصلح باب سن استيبان واقام عليه ظلة تتكئ على مساند ملفوفة من نفس نوع مساند واجهة بيت الصلاة . وعلى هذه الواجهة بجوار المدخل الى البلاط الاوسط نقش تاريخي فيه ((بسملة ... امر عبد الله عبد الرحمن اميرالمؤمنين الناصرلدين الله اطال الله بقاه ببنيان هذا الوجه واحكام اتقانه تعظيماً لشعائر الله ومحافظة على حرم بيوته التي اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه ، ولما دعاه على ذلك من تقبل عظيم الاجر وجزيل الذخر مع بقاء شرف الاثر وحسن الذكر فتم ذلك بعون الله في شهر ذي الحجة سنة ست واربعين وثلثمائة على يدي مولاه ووزيره وصاحب مبانيه عبد الله بن بدر . عمل سعيد بن ايوب)).(٣)

---

(١) – سالم ، الدكتور السيد عبد العزيز ، المساجد والقصور ، ص ٣٠

(٢) – نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، ص ١٠– ١٢

(٣) – سالم ، الدكتور عبد العزيز ، المساجد والقصور ، ص ٣١– ٣٢

ومع ازدياد سكان قرطبة زيادة كبيرة في عصرالناصر حتى ضاقت المدينة بمن وفد اليها من المسلمين ، ولم يعد بيت الصلاة في جامع قرطبة يتسع لمجموع المصلين في ايام الجمع ، مما حمل الحكم بن المستنصر على التفكير في الزيادة فيه فافتتح خلافته في رمضان عام (٣٥٠هـ) بالنظر في توسيع بيت الصلاة بالجامع وعهد الى حاجبه جعفربن عبد الرحمن في اليوم التالي لبيعته بمهمة الاشراف على احضار الاحجارمن جبل قرطبة للزيادة المذكورة ، وخرج بنفسه لتقدير الزيادة ودراسة تخطيطها وتفصيل بنيانها وامتدت الزيادة نحو الجنوب ، فمدت صفوف الاقواس القديمة جنوباً مسافة ٩٥ ذراعاً (٤٦مترا ً تقريبا ً) . [١]

واقام على مدخل البلاط الاوسط من هذه الزيادة قبة كبرى مخرمة يبدو ان الغرض منها كان لأدخال الضوء كما اقام قبة اخرى عليه في اسطوان المحراب الجديد عام (٣٥٤هـ) واحاط هذه القبة الاخيرة بقبتين جانبيتين ، وعمد مهندس جامع قرطبة الى رفع سقف البلاط الاوسط عن بقية البلاطات الاخرى ، حيث ان ظاهرة القباب المتعددة فكرة جديدة استحدثها مهندس الحكم . [٢]

وسجل بناء القاعدة المشبكة لهذه القبة في نقش كتابي يغطي الطرة الكبرى التي تحيط بعقد المحراب ، وفي نفس السنة شرع في تنزيل الفسيفساء بالمسجد الجامع ، فاجرى الفسيفساء على واجهة المحراب وواجهة العقدين المجاورين له[٣] .

فزين به وجه المحراب ووجه كل من العقدين اللذين يكتنفانه شرقاً وغرباً وقد سجل ذلك في نقش كوفي يعلو عقد المحراب نصه : ((بسم

(١) – ابن عذارى ، البيان المغرب في اخبارالاندلس والمغرب ، ج٢ ، ص ٣٥٤ .
(٢) – سالم ، الدكتور عبد العزيز ، المساجد والقصور ، ص ٣٣٠
(٣) – المقري ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، ج٢ ، ص ٨٨

الله الرحمن الرحيم امرعبد الله الحكم اميرالمؤمنين اصلحه الله فولاه وحاجبه جعفر بن عبد الرحمن رحمه الله بعمل هذه الفسيفساء في البيت[١])) .

وفي سنة (٣٥٥هـ) امرالحكم بوضع المنبر القديم الى جانب المحراب ونصب في قبلة زيادته مقصورة من الخشب منقوشة الظاهر والباطن ، طولها (٧٥) ذراعاً وعرضها (٢٢) ذراعاً وارتفاعها الى الشرفات (٨) اذرع وجعل لها ثلاثة ابواب بديعة الصنعة عجيبة النقشة.[٢]

وفي سنة (٣٥٦هـ) اجرى الماء الى سقايات الجامع واقام منبراً عدد درجاته تسع مركباً من ست وثلاثين الف وصلة مصنوعة من اكارم الخشب وجملة القول ان زيادة الحكم زودت الجامع بتناسقه وايقاع اجزائه وعظمته وذلك باقامته المقصورة وتتويجها بثلاث قباب وتوسط المحراب واجهة المقصورة بحيث يكتنفه عقدان متماثلان الايمن به مشرع يؤدي الى الساباط والايسر يفضي الى مخزن الجامع . [٣]

واختتم الحكم اعمال البناء ، بانشاء دارللصدقة غربي الجامع ، لتكون معهداً لتوزيع صدقاته ، كما اقام في ساحة الجامع مكاتب لتعليم اولاد الضعفاء والمساكين . [٤]

وفي سنة (٣٧٧هـ) شرع المنصور بن ابي عامر في زيادته للجامع في الجهة الشرقية لتعذر الزيادة فيه من الجهة الغربية بسبب قيام القصر الخلافي ، المقابل للجامع وتعذرها من الجهة القبلية لقرب جدار القبلة من الوادي ، فضلاً عن الزيادة من هذه الجهة ستؤدي حتماً

---

(١) – المصدرنفسه ، ج٢ ، ص ٨٩

(٢) – المقري ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، ج٢ ، ص ٨٨

(٣) – سالم ، الدكتور عبد العزيز ، المساجد والقصور ، ص ٣٤ .

(٤) – ابن عذارى ، البيان المغرب في اخبارالاندلس والمغرب ، ج٢ ، ص ٣٥٥

الى هدم المحراب العظيم الذي اقامه الحكم بقبابه الثلاث ، اما الجهة الشرقية فقد كانت عامرة بالدور والمستغلات مما اضطر المنصور الى هدم الدور والمنازل القائمة بعد ان عوض اصحابها ثمنها . (١)

استغرقت زيادة المنصور عامين ونصف عام مكلفاً من قبل الخليفة هشام ابن الحكم الذي عينه حاكماً على المدينة ، وراعى المنصور في زيادته ان يسودها نوع من الانسجام والتناسق مع بناء المسجد كله ، وكذلك راعى في زيادته المبالغة في الاتقان دون الاهتمام بالزخرفة . (٢)

لقد اصبح هذا الجامع الذي وصف بانه اروع امثلة العمارة الاسلامية في العصر الوسيط بمثابة جامعة اسلامية ، تدرس فيه كافة العلوم ويفد اليه الطلاب من مختلف الاقطار ، وصار احد المآثر التي تميزت بها قرطبة ، وكان مصدر فخرها ، وظل هذا المسجد قبلة تهفو اليه قلوب المسلمين من كل مكان ، وظل جامعة اسلامية كبيرة يقصدها طلاب العلم والعلماء حتى اجرى عليه ملوك الاسبان وحكامهم التغييرات الكثيرة التي شوهته ، لكنه مع ذلك ظل يحمل حتى اليوم طابع الفن العربي الاسلامي العظيم . (٣)

ويصف الدكتور (٤) غوستاف لوبون في كتابه حضارة العرب هذا الجامع بقوله : ((كان جامع قرطبة يفوق معابد الشرق قاطبة بعظمته وروعته ، فترى ارتفاع مئذنته اربعين ذراعاً ، وترى قبته الهيفاء تقوم

---

(١) – المصدرنفسه ، ج٢ ، ص ٤٢٨

(٢) – ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ٧٦.

(٣) – المعاضيدي ، الدكتور خاشع ، تاريخ الدولة العربية في الاندلس ، ص ٢٣٥ .

(٤) – نقله الى العربية عادل زعيتر ، الطبعة الثانية ، ١٩٤٨ م ، داراحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ص ٣٥٢

على روافد من الخشب المحفور وتستند الى ١٠٩٣ من الاعمدة المصنوعة من مختلف الرخام على شكل رقعة الشطرنج فيتألف منها تسعة عشر صحناً واسعاً طولاً وثمانية وثلاثون صحناً ضيقاً عريضاً وترى في وجهه الجنوبي المقابل للوادي الكبير تسعة عشر باباً مصفحاً بصفائح برونزية عجيبة الصنع خلال الباب المتوسط الذي كان مصفحاً بالواح من الذهب ، وترى كل من وجهه الشرقي الجانبي ووجهه الغربي الجانبي تسعة ابواب مشابهة لتلك الابواب))

وجامع قرطبة اقيم ايام كان الفن العربي في فجره ثم تدرج الفن العربي حتى وصل الى الكمال ، ويعد جامع قرطبة الذي بني في القرن الثامن من الميلاد وبعض المباني في طليطلة من اثارالدورالاول لفن العمارة العربي باسبانية، وتعد منارة لاجيرالدة (لعبة الهواء) الاشبيلية التي اقيمت في القرن الثاني عشر من الميلاد والقصرالاشبيلي من اثار الدورالاوسط لفن العمارة العربي ، وتعد قصر الحمراء الغرناطي الذي شيد في القرن الرابع عشر من الميلاد عنواناً لما انتهى اليه فن العمارة العربي . (١)

ولايزال جامع قرطبة من المباني المهمة مع ما احدثه الاسبان فيه من التلف والفساد ومع تلك الكنيسة الواسعة التي اقاموها فيه لتطهيره ، ومما صنعه الاسبان ان كلسوا زخارف جدره وكتاباته ونزعوا منه فسيفساء ارضه وباعوا تحف سقفه الخشبية المحفورة المزوقة ، فيجب على من يرغب في تمثل ما كان عليه جامع قرطبة ان ينظر الى محرابه الذي افلت وحده من التخريب . (٢)

(١) – غوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ص ٣٤٩

(٢) – العميد ، الدكتور طاهر مظفر ، اثارالمغرب والاندلس ، ص ٢٣٠

ويقوم سقف جامع قرطبة على اعمدة ، ويتكون من اجتماع هذه الاعمدة صفوف من الصحون المتوازية المؤدية الى باحته ، وتتقاطع هذه الصحون وصحون اخرى كتقاطع الاضلاع الذي ينشأ عنه زوايا قائمة ، ويتألف من مجموع تلك الاعمدة غابة من الرخام واليصب والغرانيت ، وتعلو تلك الاعمدة اقواس رائعة منضدة مصنوعة على شكل نعل الفرس ، ويؤدي ارتفاع سقف جامع قرطبة الذي لايزيد على عشرة امتار الى تنضد اقواسه وتنوع زخارفه فينشأ عن ذلك منظر مبتكر بديع قلما تجد مثله في مبانٍ اخرى ، واما محرابه فانك لاترى احسن من زخرفه وسنائه في اي اثر قديم او حديث فانه اجمل ما تقع عليه عين بشر . (١)

وبعد توالي التغييرات عليه من قبل الكنيسة اعلن المسجد الجامع بقرطبة اثراً قومياً ففي سنة (١٨٨١م) قام دون ريكاردوف فلاسكت بوسكو مدير مدرسة العمارة بمدريد ، بالاشراف عليه واصلح مصلى فيلافيتوسا كما اصلح سقف الجامع الخشبية وارضيته القديمة ، وواصل المهندس بوسكو اعمال الترميم ، فاعاد وضع الاسقف الخشبية في البلاط الاوسط بجامع قرطبة ، كما اصلح الابواب الخارجية في زيادة المنصور ، وتم الفراغ من جميع اعمال الترميم في سنة ١٩١٤م . (٢)

(١) – غوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ص ٣٥٢

(٢) – سالم ، الدكتور عبد العزيز ، قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس ، ج١ ، ص ٣٤٩

مدينة الزهراء
(ومسجدها وقصرها)

شرع عبد الرحمن الناصر بناء الزهراء في اول يوم من المحرم سنة (٣٢٥هـ) على ماذكره المقري في نفح الطيب . [١] وايد معظم مؤرخين هذا التاريخ . [٢]

تقع الزهراء شمالي غرب قرطبة على بعد سبعة كيلومترات من مركز مدينة قرطبة ، وشيدت على سفح جبل العروس وهو احد الجبال المحيطة بقرطبة ، وكان الطريق القديم الذي يفضي الى الزهراء في عهد الخلافة يخرج من احد ابواب قرطبة الغربية المسمى بباب ((ليون)) وينتهي عند باب ((الجبل)) في السورالشمالي لمدينة الزهراء . [٣]

يقول الادريسي في وصف الزهراء[٤] : ((ومن مدينة قرطبة الى مدينة الزهراء خمسة اميال ، وهي قائمة الذات بأسوارها ورسوم قصورها ، وفيها قوم سكان بأهليهم وذراريهم وهم قليلون . وهي في ذاتها مدينة عظيمة مدرجة البنية ، مدينة فوق مدينة سطح الثلث الاعلى يوازي على الجزء الاوسط . وسطح الثلث الاوسط يوازي على الثلث الاسفل ، وكل ثلث منها له سور ، فكان الجزء الاعلى منها ، قصورا ً يقصرالوصف عن صفاتها ، والجزء الاوسط بساتين

(١) – ج٢ ، ص ١٠١

(٢) – الشريف ، الادريسي ، ص ٢١٢ ، ابن عذارى ، البيان المغرب في اخبارالاندلس والمغرب ، ج٢ ، ص ٢٠٩ ، الحميري ، الروض المعطار في خبرالاقطار ، ص ٩٥

(٣) – العميد ، الدكتور طاهر مظفر ، اثارالمغرب والاندلس ، ص ٢٨٩

(٤) – الادريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، ص ٣١٢

وروضات ، والجزء الثالث فيه الديارو الجامع وهي الان خراب وفي حال الذهاب .

واسباب بناء هذه المدينة تتحدد بالدوافع الاتية :- [١]

١-اريد لهذه المدينة ان تكون مقراً للخلافة الجديدة .

٢-الابتعاد عن صخب العاصمة قرطبة بعد ان ضاقت مرافقها نتيجة الزخم السكاني الذي كان يزداد سنوياً .

٣-بناء المدن صفة وصف بها الخلفاء والسلاطين العظماء تخليداً لعصورهم المجيدة .

٤-عرف عن الناصر كلفة بناء القصور والاعتناء بتنميتها وتزينها وصرفه الاموال الكثرة في هذا المجال .

ويروى ابن عذاري في كتابه البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب [٢] . ان اعمدة الرخام في الزهراء بلغت حوالي ٤٣١٣ سارية ، منها ١٠١٣ جلبت من قرطاجة وتونس ، ١٤٠ اهداها اليه ملك الروم في القسطنطينية ، وبقية الاعمدة جلبت من داخل اسبانيا .

وقد عمل في بناء الزهراء جيش من العمال والمهرة اشرف عليهم خيرة المهندسين والمعمارين في ذلك الوقت ، وقامت المدينة على مسطح من الارض طوله من الشرق الى الغرب الفان وسبعمائة ذراع ، وعرضه من القبلة الى الجنوب الف وخمسمائة ذراع ، واستمرالبناء فيها نحواً من اربعين سنة وخول الناصر ابنه وولى عهده الحكم المستنصر مهمة الاشراف على البناء ، ولكن على الرغم من ذلك فقد انتقل اليها عبد

(١) - السامرائي ، الدكتور خليل ابراهيم واخرون ، تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس ، ص ١٧٧ .

(٢) - ج٢ ، ص ٢٣١

الرحمن الناصر سنة ٣٣٦هـ / ٩٤٧م ونقل اليها بيت المال كما نقل اليها نساءه واولاده وخدمه وحراسه واستقبل فيها السفراء . (١)

وتفيد الاثارالباقية ان مدينة الزهراء كانت تحتل مستطيلاً طوله ١٥٠٠ متراً ، وعرضه ٧٥٠متراً ، وان المياه كانت تأتيها من اعلى الجبل في قنوات على بعد ثمانين كيلومتراً وقد اقتضى هذا الامر الى نقب الجبل بطريقة هندسية رائعة لاتزال اثارها باقية الى اليوم على شكل عيون في الجبل ، حيث كانت الزهراء مدينة ثلاثية مدرجة على سفح الجبل : القسم الاعلى فيه قصور الخلافة ، والقسم الاوسط عبارة عن بساتين ورياض والقسم الاسفل يحتوي على المسجد ومنازل الخاصة بالحراس ، وكل قسم من هذه الاقسام له سور وابواب . (٢)

اما سبب تسمية المدينة (بالزهراء) فاننا لانجد في النصوص التاريخية ما يشير الى سبب مقنع ومعقول ، ماعدا رواية ذكرها المقري : (نقلاً عن بعض شيوخ قرطبة ملخصها بان الخليفة عبد الرحمن الناصر ماتت له سرية وتركت له مالاً كثيراً فامر ان يفك به اسرى المسلمين في بلاد الفرنج ، فلما لم يجد اسيراً واحداً طلبت منه جارية التي اسمها زهراء والتي كانت يحبها حباً شديداً ان يبني لها مدينة ويسميها باسمها ، فبنى هذه المدينة ثم امر ان تنفش صورها على باب المدينة . (٣)

والزهراء تأنيث الازهر وهو اللون الابيض المشرق وكلمة الازهر تعني النيرايضاً ولذلك سمي القمر الازهر . (٤)

---

(١) – المقري ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، ج١ ، ص ٥٢٤

(٢) – العبادي ، احمد مختار ، في تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٢٠٦

(٣) – المقري ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، ج٢ ، ص ٦٥

(٤) – ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٢ ، ص ٩٦٢

وتنقسم اطلال الزهراء بصفة عامة الى ثلاث مجموعات ، مدرجة من اعلى الى اسفل . وتشمل المجموعة الاولى مواقع القصرالخليفي والمقام الخاص ، وتشمل الثانية فيما يبدو مساكن الحاشية والحرس ، وتشمل المجموعة الثالثة وهي الواقعة اسفل الربوة في بسيط معتدل من الارض ، اربعة افنية كبيرة عالية ، وفيما يظن انها البهو العظيم الذي كان مخصصاً لاستقبال الملوك واكابر السفراء ، وقد تم اكتشاف هذا البهو الذي يعد اعظم ما كشف من اثارالزهراء في سنة (١٩٤٤م) ووجد سائر حطامه وزخارفه مدفوناً تحت الانقاض ، ويعكف الاثريون الاسبان منذ اعوام على اقامة الصرح وتنسيقه ، مما وجد من انقاضه واعمدته وزخارفه ، وقد اقيم في وسطه واصطلح على تسميته (بهو السفراء) او باسمه التاريخي (المجلس المؤنس) وهو يتكون من اربعة افنية متلاصقة تبلغ واجهتها نحو اربعين متراً ، وقد قسمت من الداخل الى ثلاث اروقة مستطيلة ، يتوسطها رواق رابع ذو عقود من الجانبين ، ويقوم كل فناء منها على خمسة عقود ، وقد ركب على هذه العقود ما وجد بين الاطلال من رؤوس وقواعد رخامية مزخرفة ، وفي وسط الرواق الثالث عقد جميل عالٍ يفضي الى بهو داخلي زين جانباه بالزخارف الرخامية ، ويبلغ طول كل رواق من الاروقة المذكورة نحواً من عشرين متراً ، وعرضه نحو ثمانية امتار ، وقد صنعت العقود كلها على نمط واحد وزينت من اعلاها بما امكن جمعه من قطع الزخارف الرخامية التي وجدت ، وقد شيدت هذه الاروقة على ارتفاع يبلغ نحو عشرة امتار . [١]

(١) – عنان ، عبد الله ، دول الاسلام ، ج٢ ، ص ٤٤٣

اما المسجد ، فيقع لوحده مابين الطبقة الثانية والثالثة من المدينة وقد اورد لنا المقري [١] معلومات كثيرة عنه ، فقد كان يعمل فيه كل يوم الف بناء ومائتا نجار وخمسمائة من الاجراء وسائر الصناع واستتم بنيانه في مدة ثمانية واربعين يوماً فجاء في غاية الاتقان من خمسة ابهاء عجيبة الصنعة وطوله من القبلة الى الجوف حاشي المقصورة ثلاثون ذراعاً وعرض البهو الاوسط من ابهائه من الشرق الى الغرب ثلاث عشر ذراعاً وعرض كل بهو من الابهاء الاربعة المكتنفة له اثنا عشر ذراعاً وطول صحنه المكشوف من القبلة الى الجوف ثلاث واربعون ذراعاً وجميعه مفروش بالرخام الخمري وفي وسطه نافورة يجري فيها الماء ، فطول هذا المسجد اصبح من القبلة الى الجوف سوى المحراب سبعة وتسعون ذراعاً وعرضه من الشرق الى الغرب تسعة وخمسون ذراعاً وطول صومعته في الهواء اربعون ذراعاً وعرضها عشرة اذرع في مثلها ، وامرالناصر لدين الله باتخاذ منبربديع لهذا المسجد فصنع في غاية الحسن ووضع مكانة وحوله مقصورة عجيبة الصنعة ، وكان وضع هذا المنبر في مكانة من هذا المسجد عند اكماله يوم الخميس لسبع بقين من شعبان سنة ٣٢٩ . [٢]

اشتغل بالتنقيب في هذا المسجد السيد بافون ، ونشرنتائج ابحاثه التي تناولت مسجد الزهراء بالتفصيل وذكربأن المسجد يتجه نحو الجنوب الشرقي باتجاه صحيح نحو القبلة ولذلك كان من السهل جداً تحديد مكانة في الفترة الاولى من اعمال التنقيب في مدينة الزهراء وهو مسجد صغير يبلغ طوله ٥٣.٧٤ م وعرضه ٣٤ متر ويتألف من خمسة ابهاء

(١) – نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، ج٢ ، ص ١٠٠

(٢) – نفح الطيب ، ج٢ ، ص ٢٦٦

تفتح على صحن مرصوف بالرخام الاحمر الخمري تتوسطه نافورة ويبلغ ارتفاع مأذنته ١١متر . (١)

وابتنى الناصر في مدينة الزهراء قصراً عظيماً في جانب من جوانبه ثمانية ابواب مزينة بالذهب والجوهر ، واقيمت في باحاته وممراته ، التماثيل الجميلة للطيور وبعض الحيوانات ، وهي تقذف المياه من افواهها في احواض خاصة لذلك . (٢)

ويسهب غوستاف لوبون في وصف قصر الزهراء بقوله (٣): (كان يزين ذلك القصر ٤٣٠٠ عمود من الرخام الثمين الكامل الصنع ، وكانت رداهة مبلطة بقطع من الرخام المنقوش بمهارة على الف شكل ، وكانت حواجز هذه الردا ه مغطاة بالمرمر ومزخرفة بالافاريز ذات الالوان الباهرة ، وكانت سقوفه ذات نقوش ذهبية لازوردية متشابكة ، وكانت جسور هذه السقوف وترابيعها الارزية دقيقة متقنة الصنع ، وكان في بعض رداهه عيون عجيبة تصب مياهها الصافية في صهاريج رخامية ذات اشكال منوعة انيقة ، وكان في ردهة الخليفة عين مصنوعة من اليصب ومزينة باوزة عجيبة من الذهب عملت في القسطنطينية وكان بالقرب من القصرالحدائق العظيمة ذات الاشجار والرياحين ، وكان في وسط هذه الحدائق وعلى مكان مشرف منها قبة الخليفة التي كانت قائمة على اعمدة رخامية بيض ذات تيجان مذهبة ، وكان في وسط هذه القبة حوض كبير من الرخام السماقي مملوءبالزئبق الذي كان يتدفق بشكل عجيب تدفقاً مستمراً فكانت اشعة الشمس تنعكس عليه بما يأخذ بمجامع القلوب ، جلب الرخام الابيض الى

(١) – العميد ، الدكتور طاهر مظفر ، اثارالمغرب والاندلس ، ص ٢٩٢

(٢) – المعاضيدي ، الدكتور خاشع ، تاريخ الدولة العربية في الاندلس ، ص ١١٨ .

(٣) – حضارة العرب ، ص ٣٥٥ –٣٥٦

قصرالزهراء من المرية ، والوردي والاخضر من قرطاجة وتونس ، وامرالخليفة بأن تنصب هناك صور ذهبية وحجرية لاثني عشرحيوانا ً مصنوعة في قرطبة فكانت المياه تتدفق من افواهها على الدوام .

وقد اثبت التنقيبات صحة ماذكره الادريسي [١] من الطبقة الاولى العليا من المدينة تشتمل على قصور عظيمة فان ما كشف عنه من المباني الواقعة الى الشرق من منطقة السور الشمالي من المدينة في الطبقة العليا منها هي القصور التي ذكرها الادريسي وعثرعلى مجموعة من ابنية مستقلة يقع مدخلها بعيدا ً عن مداخل القصور الواقعة الى الجهة الشرقية وتنفصل عنها بطريق منحدر هذه الابنية هي الدواوين ، وقد شيدت الابنية على ارتفاعات مختلفة ينتهي اعلى ارتفاع لها عند الجدار الغربي من القصر المسمى بالمجلس الغربي .

اما المقري [٢] فيصف بهاء هذه القصور التي تقع الى الشرق من الدواوين حيث تمتد بخط يجري من الشرق الى الغرب بموازاة السورالشمالي للمدينة وتفتح على شارع ضخم مرصف هو (السطح الممرد) .

وما تم اكتشافه من هذه القصور هو المجلس الغربي (المجلس الكبير) سنة ١٩١٠ م ويقع هذا المجلس الى الغرب من القصور التي تفتح على السطح الممرد ويفتح باتجاه الجنوب بخمس ابهاء يتقدمها رواق يبلغ طول هذا المجلس ٣٨.٨٨متر اما الابهاء الجانبية فاقل عرضا ً منها ويبلغ عرض الرواق الوسطى ٦.٩٠متر كما يبلغ عرض المجلس كله ٢٠.٢م ويفتح على فناء كبير يبلغ طوله ٥٢.٩٠ متر وعرضه ٣٩.٣٠ متر تفتح الابهاء على الرواق الامامي بخمسة ابواب تغلق كلها بالواح من الخشب

(١) – نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، ص ٢١٢ .

(٢) – نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، ج٢ ، ص ١٠٠

ولاتزال الاعقاب التي كانت تدور عليها الابواب موجودة على الارض في محلها ، وقد بلطت ارضيته بقطع من الحجارة الكبيرة الحجم وليس فيه ماهو متخذ من الرخام سوى قواعد الاعمدة والتيجان . وقد زينت اسافل الجدران بوزرة من الجص الابيض يعلوها شريط احمراللون. كما ان القصور التي اشارت اليها النصوص التاريخية تقع في الزاوية الشمالية الشرقية من المدينة ، منها قصر يتكون من عشرة اروقة يعتقد انه قصر الخلافة العظيم . وما زالت بقية القصور بشكل مرتفعات مربعة الشكل تغطيها اليوم البساتين والمزروعات وهي بحاجة الى الكشف . (١)

هذا ماتم اكتشافه من مباني الطبقة الاولى من المدينة اما قصر الخلافة فقد امكن تمييزه ، حيث عثر في التنقيبات على قطع كثيرة من مرمر هذا القصر وبها ثقوب فارغة تشيرالى تطعيمه بالاحجار الكريمة ، وهو من احسن واهم ابنية المدينة وكان فيه حوض كبير مملوء بالزئبق . (٢)

ومع استمرار اعمال الحفريات في مدينة الزهراء . فقد تم اكتشاف الكثير من معالم المدينة ، ومنها اكتشاف دارالجند سنة (١٩١٢م) وتم تجديده سنة (١٩٤٤م) واكتشاف الجناح الشرقي سنة (١٩٥٤م) والبحيرات سنة (١٩٤٥م) وبدأ العمل بها سنة (١٩٥٤م) ودارالرخام الذي بدأ التنقيب به سنة (١٩٦٤م) ، ثم ممر الجند الشرقي والساباط سنة (١٩٦٤م) ايضاً . (٣)

ولم تعمر مدينة الزهراء طويلاً فقد ظلت قصراً للخلافة في عهد الناصر وولده الحكم المستنصر ثم فقدت اهميتها وبريقها السياسي عندما

---

(١) – العميد ، الدكتور طاهر مظفر ، اثارالمغرب والاندلس ، ص ٢٩٣

(٢) – المرجع نفسه ، ص ٢٩٤ .

(٣) – العزي ، نجلة اسماعيل ، قصرالزهراء في الاندلس ، بغداد ، ١٩٧٧م ، ص ٨٤ .

سيطر الحاجب المنصور بن ابي عامر على مقاليد الامور وبنى المدينة المعروفة بالزاهرة . (١)

وبعد بناء الزاهرة اخذ شأن الزهراء يقل تدريجياً بعد تاريخ ٣٧٠هـ / ٩٨٠م حتى شملها التهديم ، ففي عام ٤١٥هـ / ١٠٢٤م وفي عهد المستكفي عندما تولى العهد سليمان بن هشام بن عبيد الله بن الناصر استؤصلت قصورالناصر . (٢)

ففي ايام المستكفي استئصل بقية قصور جدهم الناصر بالخراب وطمست اعلام قصر الزهراء واقتلع نحاس الابواب ورصاص القنى وغير ذلك من الالات في اواخر حكم المستكفي (٤١٤-٤١٦هـ) فاصبحت بعد هذا التاريخ وفي عهد المعتمد بالذات خراباً . (٣)

فكان اخر من زارها الخليفة الموحدي المهدي ابو يعقوب المنصور حيث مر بها في عام ٥٨٦هـ / ١١٩٠م .فأمر بأن يرفع التمثال عن باب المدينة . (٤)

ومن اعمال الناصر المعمارية الهامة ، اعادة بناء مدينة سالم ، التي تقع شمالي مدريد بنحو ١٥٣ كيلومتر في الطريق الذي بين مدريد وسرقسطة وهي الان من اعمال مقاطعة سورية . وقد عرفت هذه المدينة قديماً في العصرالروماني باسم اوسيلس ، ولما فتح العرب اسبانيا ،عمر هذه المدينة زعيم مغربي اسمه سالم بن ورعمال المصمودي الذي يحتمل ان يكون من قادة الرعيل الاول الذي قام بفتح اسبانيا . ومنذ ذلك الوقت عرفت هذه المدينة باسم هذا القائد سالم . ويبدو ان الفتن التي

---

(١) – السامرائي ، الدكتور خليل ابراهيم واخرون ، تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس ، ص ١٧٨ .

(٢) – ابن عذاري ، البيان المغرب في اخبارالاندلس والمغرب ، ج٢ ، ص ١٤٢

(٣) – العزي ، قصرالزهراء في الاندلس ، ص ٤٠– ٤١

(٤) – ابن عذاري ، البيان المغرب في اخبارالاندلس والمغرب ، ج٢ ، ص ١٧٩ .

حلت بالاندلس في ايام الامير عبد الله الاموي ، قد خربت هذه المدينة ، اذ انه لما ولي عبد الرحمن الناصر اعاد بناءها وجعلها ثغراً حربياً لمواجهة امارة قشتالة الناشئة واشرف على بنائها مولاه غالب وغيره من قواد الثغور ، فنقلوا اليها البنائين والالات وبنيت احسن بناء ، واصبحت مدينة سالم منذ ذلك الوقت قاعدة للثغر الاوسط الى جانب طليطلة قاعدة الثغر الادنى وسرقسطة قاعدة الثغر الاعلى [١].

مدينة الزاهرة

اقتفى المنصور ابن ابي عامر اثر الخليفة عبد الرحمن الناصر عندما شرع في بناء مدينة خاصة به سنة ٣٦٨هـ - ٩٧٨م اتخذت اسم الزاهرة ، نظراً لتأثره بنشاطه العمراني واهتمامه بهذا الجانب فاكتمل البناء سنة ٣٧٠هـ -٩٨٠م . [٢]

تعد مدينة الزاهرة في الاندلس مجموعة المدن المرحلية المؤقتة التي انبثقت من المدينة الام قرطبة ، كما ان الاسباب والدوافع التي ساعدت على ظهور هذه المدينة شبيهة بالدوافع التي ادت الى ظهور مدينة الزاهرة مركزاً للخلافة في قرطبة . [٣]

وهي تقابل مدينة الزاهرة التي بناها عبد الرحمن الناصر في شمال غرب قرطبة ولقد اندرست هذه المدينة الزاهرة بعد مدة قصيرة من بنائها خلال الثورات التي قامت ضد ولده عبد الرحمن بن المنصور المعروف بشنجول سنة (٣٩٩هـ) [٤].

---

(١) - ابن عذارى ، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، ج٢ ، ص٢١٣-٢١٤ .

(٢) - المقري ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، ج٢ ، ص ١١٢

(٣) - ابن عذارى ، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، ج٢ ، ص ٢٧٥

(٤) - المصدرنفسه ، ج٢ ، ص ٢٨٨

فقد تأسست هذه المدينة كمدينة قصرلتحل محل مدينة الزهراء قصر الخليفة الشرعي في الاندلس ، حيث اراد ابن ابي عامر ان ينافس ويضاهي الخليفة الناصر لدين الله ويؤكد للعامة من اهل الاندلس ، انه لايقل نفوذاً او سلطاناً عن الخليفة الحكم المستنصر والناصر، كما ان الظروف والاحوال السياسية والادارية والعسكرية كانت لصالحه وساعدته على تثبيت نفوذه وسلطانه وبالتالي سلب السلطة الشرعية للخليفة الصغير هشام المؤيد . (١)

ويشير ابن عذارى المراكشي (٢) الى الاسباب التي من اجلها انشأ المنصور ابن ابي عامرمدينة الزاهرة ((اراد ان يجري في ذلك على نسق المتغلبين على سلطان بني العباس في الشرق من امراء الديلم ، فبدأ يسلك الدولة على قالبه وطبعتها بطابعه)) .

وعلل الحميري سبب بناء مدينة الزاهرة فذكران المنصور محمد بن ابي عامر اراد ان يتشبه بالملوك في اتخاذ الحواضر ومراكز الحكم . (٣)

كما ان هناك دافعاً سياسياً دفع المنصور بن ابي عامر الى اتخاذ مدينة الزاهرة بالقرب من المدينة الام قرطبة لكونها تقع في الجانب الشرقي من نهر قرطبة (الوادي الكبير) ، وبهذا تتضح اهميتها السياسية نظراً لموقعها ازاء عاصمة الخلافة القديمة قرطبة ، والعاصمة الجديدة الزهراء. (٤)

وانتقل المنصور محمد بن ابي عامر الى المدينة الزاهرة سنة ٣٧٠هـ / ٩٨٠م بحاشيته وخاصة من الحرس ، وحجز الخليفة هشام

---

(١) – الحميري ، الروض المعطار في خيرالاقطار، ص ٣٨٤

(٢) – البيان المغرب في اخبارالاندلس والمغرب ، ج٢ ، ص ٢٧٢

(٣) – الروض المعطار في خبرالاقطار ، ص ٢٨٢.

(٤)– ناجي ، الدكتور عبد الجبار ، دراسات في تاريخ المدن الاسلامية ، جامعة البصرة ، ١٩٨٦م ، ص ٣٨٧ .

المؤيد في مدينة الزهراء ، ووضع في مدينة الزاهرة اسلحته واموالـه واتخذ فيها الدواوين واقطع ماحولها لوزرائه وكتابه وقواده واقام فيها الاسواق حتى تنافس الناس بالنزول فيها . (١)

ووصفت هذه المدينة ، باتساع حركة العمران فيها وروعة البناء وكثرة القصور والمتنزهات التي احيطت بها ، وقد اشار ابن عذاري (٢) الى ذلك بقوله : ((ارتاد موضع مدينته المعروفة بالزاهرة الموصوفة بالمشيدات الباهرة ، حيث اقامها بطرق البلد على نهر قرطبة الاعظم)).

واورد ابن عذارى (٣) معلومات غير مفصلة عن القصور والدور التي احيطت بالقصر الجديد (قصرالزاهرة) حيث عرفت بانها باهرة كقصر ناصح وقصر زاهي ، ومن اشهرها قصرالعامرية واحياناً يطلق عليه دارالعامرية التي اصبحت من اهم ضواحي المدينة ومنية من منياتها ، اتخذها دوراً للمباهاة والفخامة ، حيث تقع على نهر قرطبة الملتوي (الوادي الكبير) ومن الدورالمهمة الاخرى التي يشارإليها في مدينة الزاهرة (دارالسرور) وهي احدى منيات المنصور ذات الشرفات العالية والقائمة على اعمدة من الرخام ، كذلك توسع المنصور بن ابي عامر في بنائه لدار الرصافة)).

ويذكرابن الخطيب (٤) : ((بلوغ المدينة من الاتساع والانبساط وبعد الاقطار حتى بلغت ارباضها * احدى وعشرين ربضاً ، كل ربض منها

---

(١) – المقري ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، ج٢ ، ص ١١٢

(٢) – البيان المغرب في اخبارالاندلس والمغرب ، ج٢ ، ص ٢٧٥ .

(٣) – المصدرنفسه ، ج٢ ، ص ٢٨٥–٣٠٠

(٤) – لسان الدين ابو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م) ، اعمال الاعلام ، تحقيق وتعليق الدكتوراحمد مختار العبادي والاستاذ ابراهيم الكناني ، دارالكتاب ، الدارالبيضاء ، ١٩٦٤م ، ص٨٠ .

* الربض : مدينة يدخل بها الجامع والسوق .

يعد اكبر مدينة من مدائن الاندلس ففي الجهة الغربية منها تسعة : ربض الرقاقين ، ربض مسجد الكهف ، ربض حوانيت الريحاني ، ربض مسجد الشفاء ، ربض مسجد سرور ، ربض بلاط مغيث ، ربض حمام الالبيري ، ربض السجن القديم ، ربض الروض المحدث)).

وفي داخل المدينة ثلاثة ارباض هي : ربض الرصافة ، وربض باب اليهود وربض قوات راسة المنسوب الى ام سلمة ، وفي جنوب المدينة اثنان هما : ربض شفندة وربض منية المغيرة ، اما في الجهة الشرقية فهناك ربض منية عبد الله ، وربض فرن بريل وربض فحص الناعور، وربض المدينة وهي القصبة العتيقة وواسطة البلدة وهذا يتفرع الى عدة ارباض يتولاها العرفاء في المحارس كل على حدة . (١)

ويذكر المقري (٢) (عن توسع مدينة الزاهرة واتصالها بمدينتي قرطبة والزهراء لكثرة المباني والعمائر فيشير الى ان العمارة اتصلت في مباني قرطبة والزهراء والزاهرة بحيث يمكن للمرء ان يرى الطريق المضاءة بسبب امتداد العمائر على طول عشرة اميال)).

ولم تعمر مدينة الزاهرة طويلاً فقد كان عمرها رهيناً بعمر الدولة العامرية فما ان قتل عبد الرحمن الملقب بـــ (شنجول) حتى عم الخراب عمائر هذه المدينة ونهبت قصورها وانتهت رسومها في الفوضى التي عمت البلاد سنة ٣٩٩هـــ . (٣)

واندثرت بهذا التخريب تلك المدينة اندثاراً يختلف عن ذلك الذي حل بالزهراء اذ عثر على الكثير من قطع المدينة الاخيرة مبعثرة في بلدان اخرى ، وتم التعرف عليها بفضل ما عليها من كتابات ، بينما لم يبق شيء من مآثر الزاهرة .... سوى حوض من المرمر ، مكسور

(١) – ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ٨٢

(٢) – نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، ج٤ ، ص ٩٩

(٣) – ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ١١٠

وغيركامل ، وصل الى اشبيلية ويحفظ الان في المتحف الوطني بمدريد .[١]

ومن اعمال المنصور بن ابي عامر بناءه قنطرة قرطبة التي بناها على الوادي الكبير ٣٨٩هـ وقنطرة استجه على نهر شنيل وسط الجبال ، فسهلت الطرق الوعرة والشعاب الصعبة ، هذا الى جانب الجباب والسبل لسقي الناس .[٢]

مدينة المرية

من مشهور مدن الاندلس ، وهي على ساحل البحر ، ولها القلعة المنيعة المعروفة بقلعة خيران ، بناها عبد الرحمن الناصر ، وعظمت في دولة المنصور بن ابي عامر وولى عليها مولاه خيران ، فنسبت القلعة اليه .[٣]

جاءت تسمية المرية من موقعها الجغرافي ومفرده المرية اسم الجبلين ينحصر بينهما خندق معمور وتتربع على احد الجبال قصبة المنطقة المعروفة بالحصانة ، وعلى الجبل الثاني ربض القصبة ويحيط بالمدينة ، وللمدينة ابواب عديدة ، وتشتهرالمدينة بكثرة خيراتها ومصادرالرزق.[٤]

اسست مدينة المرية في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر ، وقد امر ببناءها لغرض اتخاذها مربطاً ومحرساً للسواحل الاندلسية ولتكون خطا

---

(١) – السامرائي ، الدكتور خليل ابراهيم واخرون ، تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس ، ص ٢٠٢ .

(٢) – ابن عذارى ، البيان المغرب في اخبارالاندلس والمغرب ، ج٢ ، ص ٢٨٨

(٣) – المقري ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، ج١ ، ص ١٥٣

(٤) – المعاضيدي ، د. خاشع ، تاريخ الدولة العربية في الاندلس ، ص ٢٤٧ .

دفاعياً عسكرياً يدافع عن تلك السواحل من الاخطار الخارجية لاسيما من النورمان * والفاطميين (١)*

والمهمة الثانية لمدينة المرية في هذا المجال هي ان تكون محرساً بحرياً لمدينة بجانة القريبة منها ، والتي تبعد عنها مسافة ستة اميال ، ومن ذلك جاءت تسميتها بـــ (بحرية بجانة) . (٢)

وذلك فهي قاعدة بحرية مهمة لها اختصاصات الدفاع عن السواحل الاندلسية والانباء عن اي خطر قادم من البحرقبل وقوعه ، وتصف المراجع مدينة المرية بانها مدينة متقنة البناء بديعة الشكل لها قصبة عظيمة في رأس جبل ، وقد اشرف على المدينة والقصبة سور متقن

---

*- النورمان ، او الفيكنج من الامم البحرية العتيقة التي تسكن في البلاد الاسكندنافية ، اي السويد والنرويج ، والدانمارك الحالية ، وكلمة النورمان تعني سكان الشمال ، وكان من طبيعة هؤلاء النورمان حب المغامرة وجوب البحاربحثاً عن الاماكن الضعيفة في الشواطئ لمهاجمتها وسلبها . وتعرضت شواطئ الاندلس الغربية الى هجمات النورمان لاول مرة في اواخر عام (٢٢٩هـ / ٨٤٤م) . العذري ، احمد بن انس العذري المعروف بابن الدلائي (ت ٤٧٨هـ) - نصوص عن الاندلس ، تحقيق عبد العزيز الاهواني ، منشورات معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ، ١٩٦٥م ، ص ٩٨ .

(١) - الحجي ، عبد الرحمن علي ، التاريخ الاندلسي من الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطة ، الطبعة الاولى ، ١٩٧٦م ، ص ٣٠٤ .

* الفاطميين ، اسرة عربية اسست دولة في المغرب الادنى سنة (٩٠٩هـ) ونقلوها الى مصر سنة (٩٦٩م) واستقلوا بها عن الدولة العباسية واتسمت العلاقة بينهم والاندلس بالعداء الشديد وقد حاول كل منهم التوسع على حساب الاخر ، السامرائي ، الدكتورخليل ابراهيم واخرون ، تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس ، ص ١٦٥ .

(٢) - سالم ، الدكتور السيد عبد العزيز ، تاريخ مدينة المرية ، قاعدة الاسطول الاندلسي ، مكتبة الابحاث التاريخية والاثرية ، دارالمعارف ، مصر ، ١٩٦٢م ، ص ٦٩ .

لايستطيع المرء ان يصعد الى قصبتها الا في مشقة وكلفة وهذا السور بناه الخليفة عبد الرحمن الناصر . [١]

ويصف صاحب نفح الطيب في قوله عن مدينة المرية : ((وبها من صنعة الديباج ماتفوق به على سائرالبلاد ، وفيها دار الصناعة ، وتشتمل كورتها على معدن الحديد والرخام ، ومن ابوابها باب العقاب عليه صوارة عقاب من حجر قديم عجيب المنظر ، ومن خصائص ما عرفت به مدينة المرية احتوائها على ثمانمائة نول لنسج طرز الحرير ، وللحلل النفيسة والديباج الفاخر الف نول ، وللاسقلاطون كذلك ، وللثياب الجرجانية كذلك ، للاصفهانية مثل ذلك ، وللعتابي والمعاجر المدهشة والستور المكللة ، ويصنع بها من صنوف الات الحديد والنحاس والزجاج ما لايوصف ، وفاكهة المرية يقصرعنها الوصف حسناً ، وساحلها افضل السواحل ، وبها قصور الملوك القديمة الغريبة العجيبة . [٢]

وعلى ان هناك اسباباً اخرى تقف وراء اقدام الخليفة الناصر الى بناء هذه المدينة يمكن حصرها بما يلي :

١-موقعها على ساحل البحر ، اكسبها خصوصية كبيرة ، تتعدد عندها الاستخدامات

٢-موقعها بين قلاع ، وحصون عديدة اكسبها قوة وقدرة قتالية دفاعية .

٣-تمتلك خليجاً واسعاً وعميقاً يمكن من رسو عدد كبير من السفن اضافة الى هدوء وقلة اضطراب الامواج فيه . [٣]

---

(١) – مؤلف مجهول ، ذكر بلاد الاندلس ، نشره اميلو لافونتي اي . انكلترا ، ١٨٦٧م ، (نسخة مصورة عنها نشرتها مكتبة المثنى – بغداد) ، ص ١٤٣ .

(٢) – المقري ، ج١ ، ص ١٥٤ .

(٣) – د . محمود عبد العزيز سالم ، تاريخ مدينة المرية ، ص ٣٧

ووادي المرية طوله اربعون ميلاً في مثله كلها بساتين بهيجة ، وجنات نضرة وانهار مطردة ، وطيور مغردة ، ولم يكن في بلاد الاندلس اكثر مالاً من اهل المرية ولا اعظم متاجر وذخائر، وكان بها من الحمامات والفنادق نحو الالف وهي بين الجبلين بينهما خندق معمور ، وعلى الجبل الواحد قصبتها المشهورة بالحصانة ، وعلى الاخر ربضها والسور محيط بالمدينة والربض ، وغربيها ربض لها اخر يسمى ربض الحوض ذو فنادق وحمامات وخنادق وصناعات ، وقد استدار بها من كل جهة حصون مرتفعة واحجار اولية ، وكأنما غربلت ارضها من التراب ، ولها مدن وضياع عامرة متصلة الانهار . (١)

(١) – المقري ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، ج١ ، ص ١٥٤

الخاتمة

المنشأت العمرانية تعد قديما"وحديثا"شكلامتقدما"من اشكال الواجهات الحضارية لانها تعطي وبشكل عام اكثر من دالة على حيوية أهلها ورخائهم الاقتصادي،فجامع قرطبة أقيم أيام كان الفن العربي في فجره ثم تدرج الفن العربي حتى وصل الى الكمال ،ويعد جامع قرطبة الذي بني في القرن الثامن من الميلاد وبعض المباني في طليطلة من آثار الدور الاول لفن العمارة العربي في اسبانيا ،وتعد منارة منارة لاجيرالدة (لعبة الهواء)الاشبيلية التي أقيمت في القرن الثاني عشر من الميلاد والقصر الاشبيلي من آثار الدور الاوسط لفن العمارة العربي ،ويعد قصرالحمراء الغرناطي الذي شيد في القرن الرابع عشر من الميلادعنوانا"لما أنتهى اليه فن العمارةالعربي.

ان فن البناء والتعمير يعكس لنا صورة واضحة فيما شيده العرب من حضارة وعمران تاركا"صداهما في بلاد المغرب الاسلامي،فالاثر الذي تركه فن العمارة الاسلامية من خلال الصومعة والتحديث الذي أحيطت به من قبل عبدالرحمن الناصر انعكس في اتخاذمئذنة الناصر انموذجا"للمئآذن الاندلسية المغربية .

ان نشاط الدولة في المجال العمراني هيأ لها ان تبقى شامخة شموخ الحضارة الراسخة الى يومنا هذا فنراها ماثلة في البناء الحضاري الحديث للأمم والشعوب مما يؤكد ان الخلفاء ارادوا من وراء ذلك تمجيد عصورهم في بناءالمنشآت المعمارية كالقصور والمكتبات ،تعبيرا"عن رفاهية العيش والازدهار الاقتصادي في تلك الحقبة كما ان مشاركة الخلفاء في بناء المسجد الجامع بقرطبة بما فيهم الخليفة عبدالرحمن الناصر ترك بصمات كل خليفة واضحة على ذلك المسجد.

ان مبالغة مؤرخي العرب في وصف هذه القصور وما كانت عليه من الترف والثراء مما لايصدقه العقل والمنطق أكدت صحتها ماأسفرت

عنه الحفريات التي اثبت بشكل قاطع صدق ماذهبوا اليه في وصفهم حيث كشفت التنقيبات عن قطع من أجمل ماأبدعه فن النحت في الرخام والجص والحجر في الاندلس.

ان هذا النهوض الذي شهدته بلاد الاندلس لم يكن متيسرا" لولا ظهور الحواضر والمدن مثل قرطبة واشبيلية وطليطلة وغرناطة وغيرها حيث أصبحت مراكز مشعة للحضارة العربية الاسلامية .

هذه العمارة الاندلسية تستحق منا الدراسة والاهتمام باعتبارها الاثار المادية القائمة التي تشهد بما احرزته الحضارة الاسلامية في اسبانيا في العصور الوسطى من تفوق على سائر الحضارات الاوربية.

قائمة المصادر والمراجع

١- الادريسي ، ابوعبد الله محمد بن محمد بن عبد الله (ت ٥٦٠هـ) ، نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، طبعة ليدن ، ١٨٦٦م .

٢- الحميري ، ابو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي (ت ٨٦٦هـ) ، الروض المعطارفي خير الاقطار ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، بيروت ، ١٩٥٧م .

٣- ابن حوقل ، ابو القاسم النصيبي (ت ٣٦٧هـ) ، صورة الارض بيروت ، ١٩٧٩م .

٤- ابن الخطيب ، لسان الدين ابو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٧٧٦هـ) ، اعمال الاعلام ، تحقيق وتعليق الدكتور احمد مختار العبادي والاستاذ ابراهيم الكناني ، دارالكتاب ، الدارالبيضاء ، ١٩٦٤م .

٥- ابن عذارى ، ابو عبدالله محمد المراكشي (ت ٦٩٥هـ) ، البيان المغرب في اخبارالاندلس والمغرب ، اربعة اجزاء ، تحقيق كولان وليفي بروفنسال ، بريل ، ١٩٥١م .

٦- العذري ، احمد بن انس العذري المعروف بابن الدلائي (ت ٤٧٨هـ) – نصوص عن الاندلس ، تحقيق عبد العزيز الاهواني ، منشورات معهد الدراسات الاسلامية ، مدريد ، ١٩٦٥م .

٧- المقري ، احمد بن محمد المقري التلمساني (ت ١٠١٤هـ) – نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دارالكتاب العربي ، بيروت

٨- مؤلف مجهول ، ذكربلاد الاندلس ، نشره اميلولا فونتي اي . انكلترا ، ١٨٦٧م ، نسخة مصورة عنها نشرتها مكتبة المثنى – بغداد) .

٩- ياقوت الحموي ، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري (ت ٧٣٣هـ) ، معجم البلدان ، طهران ، ١٩٦٥م .

ب – المراجع

- الحجي ، عبد الرحمن علي ، التاريخ الاندلسي من الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطة ، الطبعة الاولى ، ١٩٧٦م .

- سالم ، الدكتور السيد عبد العزيز ، قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس ، القاهرة ، ١٩٠٨م
- المساجد والقصور ، سلسلة اقرأ ، دارالمعارف بمصر ، ١٩٥٨م .
- تاريخ مدينة المرية ، قاعدة الاسطول الاندلسي ، مكتبة الابحاث التاريخية والاثرية ، دارالمعارف ، مصر ، ١٩٦٢م .
- السامرائي ، الدكتور خليل ابراهيم ، الدكتور عبد الواحد ذنون طه ، الدكتور ناطق صالح مطلوب ، تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة الموصل ، ١٩٨٦م .
- العبادي ، الدكتور احمد مختار ، في تاريخ الغرب والاندلس ، دارالنهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٨م .
- العميد ، الدكتور طاهر مظفر ، اثارالمغرب والاندلس ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة بغداد ، بيت الحكمة ، ١٩٨٩م .
- عنان ، محمد عبد الله ، الاثارالاندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال ، مصر ، ١٩٥٦م . دولة الاسلام في الاندلس ، القاهرة ، ١٩٦٩م.
- غوستاف لوبون ، حضارة العرب ، نقله الى العربية عادل زعيتر ، الطبعة الثانية ، ١٩٤٨م ، داراحياء الكتب العربية ، القاهرة .
- المعاضيدي ، الدكتور خاشع ، تاريخ الدولة العربية في الاندلس ، مطبعة التعليم العالي ، بغداد ، ١٩٨٨م .
- ناجي ، الدكتور عبد الجبار ، دراسات في المدن العربية الاسلامية ، مطبعة جامعة البصرة ، ١٩٨٦م .

Summary
Establishments Urban is out of date , " and more recently " Hclamottagdma " forms of facades of civilization because they give generally more of a function of the vitality of its people and their economic well , Fjama Cordoba held days was art in the Arab ignited by then included Arab art until it reached perfection , is the Mosque of Cordoba , which was built in the eighth century of birth and some of the buildings in Toledo from the effects of the first round of architecture in the Arab Spain , and is a beacon beacon for Ajiraldh (toy air) Acpeleh erected in the twelfth century of birth and the palace Seville effects of the role of East architecture Arab , is Qasralhmra Granadan which was built in the fourteenth century Almiladenoana of " what happened to the art of Amarharab.
The art of building and construction reflects us a clear picture as built by the Arabs of civilization and Imran leaving " Saddahma in the Islamic Maghreb , Valather left by Islamic architecture through the silo and the update that surrounded him by Abdulrahman Nasser reflected in Atakazmizna Nasser a model " for Miazn Andalusian Moroccan.
The activities of the State in the field of urban prepared her to stay tall ÔăćÎ civilization established to this day as we see fresh in the cultural building modern nations and peoples , which confirms that the caliphs wanted from behind the glorification spree in Ibnaoualmncat architectural Kalqsour and libraries , the expression " from the comfort of living and economic prosperity in those as the era post caliphs in the construction of the mosque of Cordoba , including the Caliph Abdul Rahman Nasser Khalifa leave fingerprints all clear that the mosque.